شرح كتاب (الرد على الجهمية) لعثمان بن سعيد الدارمي-رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٧)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف رحمه الله تعالى وغفر له ولشيخنا والمسلمين: [حدَّثنا هشام بن خالد الدمشقي، (قال): حدَّثنا محمد بن شعيب وهو ابن شابور، (قال): حدَّثنا عمر بن عبد الله، مولى غفرة قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أتاني جبريل وفي يده كهيئة المرآة البيضاء، وفيها نكتة سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة، بعث بها إليك ربك، تكون عيداً لك ولأمتك من بعدك قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها خير كثير، أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة، وفيها ساعة لا يوافقها عبد يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذه الساعة، تكون يوم الجمعة، وهو سيد الأيام، ونحن نسميه عندنا يوم المزيد، قلت: وما المزيد يا جبريل؟ قال: ذلك بأن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب تبارك وتعالى عن عرشه إلى كرسيه، وحف الكرسي بمنابر من نور، فيجلس عليها النبيون، وحف المنابر بكراسي من ذهب، فيجلس عليها الصديقون والشهداء، ويهبط أهل الغرف من غرفهم، فيجلسون على كثبان المسك، لا يرون لأهل المنابر والكراسي عليهم فضلاً في المجلس، ثم يتبدى لهم ذو الجلال والإكرام، فيقول: سلوني فيقولون بأجمعهم: نسألك الرضا، فيشهدهم على الرضا، ثم يسألونه حتى تنتهي نهية كل عبد منهم، ثم يسعى عليهم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم يرتفع الرب عن كرسيه إلى عرشه، ويرتفع أهل الغرف إلى غرفهم، وهي غرفة من لؤلؤة بيضاء، أو زبرجدة خضراء، أو ياقوتة حمراء، ليس فيها قصم،

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

ولا وصم، مطردة فيها أنهارها، متدلية فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها ومساكنها، فليس أهل الجنة إلى شيء أشوق منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا قرباً من الله ورضواناً}].

ماذا حكم على الحديث؟

....

هذا الحديث حديث أشار المحققون إلى ضعفه وهو من الأحاديث التي أوردها ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" في فضائل يوم الجمعة، والسلف رحمهم الله كما ترون يسقون الأحاديث وإن كان فيها ضعف في باب الترغيب.

[حدَّثنا عبد الله بن صالح، قال: حدَّثني الليث، قال: حدَّثني يونس، عن ابن شهاب، عن سالم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قام للناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: {لا أدري أتدركونه، ما من نبي إلا وقد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكني أقول لكم قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأنَّ الله ليس بأعور}.

قال الزهري: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنَّه أخبره بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حذر الناس: {إنَّه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرأه من كره عمله}، أو: {يقرأه كل مؤمن}، وقال: {تعلمن أنَّه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت}].

هذان الحديثان في ذكر الدجال، ومناسبتهما لباب الرؤية أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حذَّر من الدجال وذكر فيه علامة يراها الناس وهو أنَّه أعور، وهذا يدلُّ على أنَّ الله تعالى يمكن أن يُرى، وإلا لما كان لذكر هذه العلامة الفارقة فائدة، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخبر خصَّ به أمته مع أنَّ الدجال ما من نبي إلا وحذر أمته منه، لكن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر لهم هذه الفائدة وهو أنَّ الدجال أعور، وأنَّ الله ليس بأعور، فاستفدنا من هذه الجملة أنَّ الله سبحانه وتعالى له عينان اثنتان، فإنَّ العور يدلُّ على آفة في إحدى العينين، والله سبحانه وتعالى منزَّه عن ذلك، فدلَّ هذا على أنَّ الله تعالى له عينان، وبهذا تلتئم الأدلة المتعلقة في إثبات العينين لله تعالى، ذلك أنَّ الله تعالى قد ذكر في كتابه صفة العين بصيغة الجمع، فقال: ((تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا))[القمر:١٤]، وقال: ((فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا))[الطور:٤٨]، وذكرها بصيغة الإفراد فقال: ((وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي))[طه:٣٩]، فثم في القرآن العظيم صيغة الإفراد وصيغة الجمع، وليس في القرآن العظيم صيغة التثنية كما في اليدين، فإنَّ اليدين قد وردت

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ

بالإفراد والتثنية والجمع، لكن قد ورد حديث فيه ضعف وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى: {إذا قام العبد يصلي قام بين عيني الرحمن}، لكن الذي دلَّنا على الجمع بين الإفراد والجمع في صفة العينين هو هذا الحديث {وإنَّ ربكم ليس بأعور}.

وأما الإفراد فإنَّه لا يعارض التثنية ولا الجمع، لأنَّ المفرد المضاف يعم، المفرد إذا أضيف يعم، بمعنى: أنَّه لا يعارض تثنية ولا جمعاً، كقولك: رأيت الحادث بعينِي، لا يلزم من هذا أن يكون لك عين واحدة، ومثله لو قلت مثلاً: مشيت إلى فلان برجلِي، لا يقال: إنَّ ليس له إلا رجل واحدة، فالعرب عندها أنَّ المفرد المضاف يعم، وبالتالي لا تعارض بين الإفراد والتثنية.

وأما الجمع والتثنية فسبيل التوفيق بين الصيغتين طريقان:

أحدهما: أن نقول: إنَّ أقل الجمع اثنان، فإذا قلنا: أقل الجمع اثنان، فحينئذ لا مشكلة نحمل الجمع على أقله وهو اثنان، وإن قلنا: بل أقل الجمع ثلاثة، كما هو المشهور، فإنا نجيب عن هذا بالقول: إنَّه أتى بصيغة (الأعين) مجموعة في الآيتين ((فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا))[الطور:٤٨]، ((تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا))[القمر:١٤]، لأجل المشاكلة بين المضاف والمضاف إليه، فلما كان المضاف إليه (نا) التي في أصل وضعها في اللغة تسمى (نا) الفاعلين، لكنها بالنسبة للرب نون العظمة، فلما كانت في أصل وضعها في اللغة تدلُّ على التكثر ناسب أن يكون المضاف من جنس المضاف إليه، فلهذا قال: (أعيننا)، فإنَّ هذا أفصح وأبلغ وأقوى في الدلالة على التعظيم، لا أنَّ المراد به كثرة الأعين.

إذاً هذه هي الفائدة الأولى من قوله: {وإنَّ ربكم ليس بأعور} أنَّها أفادتنا أنَّ الله تعالى له عينان اثنتان حقيقتان يرى بهما سبحانه وبحمده.

والفائدة الثانية: إثبات الرؤية، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ما جعل هذه العلامة الفارقة لأمته إلا لكون الله تعالى تمكن رؤيته، فقال: {وإنَّ ربكم ليس بأعور}، فكان مجرد النظر إلى المسيح الدجال كافياً في إبطال دعوى ألوهيته، إذ أنَّه أعور، والله تعالى ليس بأعور، ولو كان لا يمكن أن يُرى الرب سبحانه وتعالى لما كان لذكر ذلك فائدة، ولا ريب أنَّ أمر الدجال عظيم، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: {ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أعظم من الدجال، وما من نبي إلا وحذر أمته من الأعور الدجال}، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

أحاديث كثر في التحذير من الدجال، وكان شديد الحدب على أمته من شأنه، حتى إنَّه حدَّثهم عنه يوماً حتى ظنه الصحابة أنَّه في طائفة النخل، وكان لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بابن صائد أو بابن صياد خشي أن يكون هو الدجال، فذهب صلى الله عليه وسلم يتخفى بين جذوع النخل يريد أن يباغته ليرى أهو كاهن أم هو الدجال، حتى تبيَّن بأنَّه دجال من الدجاجلة وليس هو الأعور الدجال الموصوف.

والمقصود هاهنا ما يتعلق بمسألة الرؤية، وهذان الحديثان بسند المؤلف زمر لهما بالضعف، أو أشار إليهما بالضعف، لكنهما ثابتان بحمد الله في الأحاديث الصحيحة.

وكذلك أيضاً كون من علامته: أنَّه مكتوب بين عينيه (كافر)، وفي بعض النسخ (ك ف ر) مقطعة، وهذه قد ورد الأحاديث فيها في السنن، وأنَّه يقرأها كل مؤمن كاتب وغير كاتب، وهذا من رحمة الله بعباده أن يمكِّن المؤمن حتى الأمي غير الكاتب من أن يقرأ هذه بين عيني الدجال، يقرأه كل مؤمن، وكما قلت لكم ورد في السنن ما يدلُّ على أنَّه يتمكن من قراءتها الكاتب وغير الكاتب.

ثم قال: **[حدَّثنا سليمان بن حرب، (قال): حدَّثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، أنَّ عمار بن ياسر رضي الله عنه صلى بأصحابه صلاةً أوجز فيها، فقيل له: خففت، فقال: أما إني قد دعوت فيها بدعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومضى، فتبعه رجل فسأله عن الدعاء، ثم رجع إلى القوم فأخبرهم، فقال: {اللهم إني أسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين}]**.

هذا حديث عظيم، ويتضمن دعاءً من أنفع الأدعية التي ينبغي للمؤمن أن يكثر من الدعاء منه، وسببه أنَّ عمار بن ياسر رضي الله عنه أمَّ أو صلى، فكأنَّهم رأوا أنَّ صلاته خفيفة، فأخبرهم بأنَّه قد دعا فيه بدعاء عظيم، يعني: أنَّ صلاته اتسعت لهذا الدعاء، وجمل هذه الدعاء جمل ينبغي لكلِّ مؤمن أن يتملاها وأن يستغرق في معانيها؛ لأنَّ الأمر كما قال عمر رضي الله عنه، قال: إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكني أحمل همَّ الدعاء، فإذا أُلهمت

الدعاء أُلهمت الإجابة. فكان من دعائه الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم: {اللهم إني أسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق}، هذا توسل لله سبحانه وتعالى بصفاته، فقد سأل بوصفين عظيمين: بعلمه وبقدرته، بعلمه الغيب وبقدرته على الخلق، سأل بهما ما يناسب هذا الاستهلال، ما هو؟ {أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي}، لأنَّ أمر الحياة والموت مبني على العلم والقدرة، فسأل الله تعالى بوصفين يتحقق بهما مطلوبه، وهو علمه وقدرته، وذلك أنَّ الإنسان ينبغي أن يكل أمره إلى الله عز وجل، صغيره وكبيره، دقه وجله، فهو يسأل الله تعالى أن يمد في عمره ما علم الحياة خيراً له، إذ ليست الحياة دوماً في صالح العبد، فربما يُمَدُّ في عمر إنسان ويكون عمره وبالاً عليه، كما ترون في كثير من المعمرين أو في بعض المعمرين، إنَّما يزداد إثماً، ويستكثر من السيئات والموبقات بسبب طول عمره، فليس كل طول عمر يكون لصاحبه، بل ربما كان عليه، فلهذا قال: {أحيني ما علمت الحياة خيراً لي}، فإذا كانت الحياة خيراً فحيا هلا، {فخيركم من طال عمره وحسن عمله}.

{وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي}، أحياناً يكون الموت خير لصاحبه من الحياة، ولهذا جاء في الحديث: {وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين}، فإنَّه {يأتي على الناس زمان - كما في صحيح البخاري - يقف الرجل على القبر ويقول: ليتني مكانه، وما به الدين}، يعني: ليس الذي حمله على ذلك ثقل الديون التي أرهقته، لكن الفتن التي تعتام الناس. عياذاً بالله.

وهذا الدعاء خير من أن يدعو الإنسان على نفسه بالموت، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقال: {لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضرٍّ أصابه، فإن كان ولابدَّ فاعلاً، فليقل: اللهم أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً}، هذا تفويض إلى الله عز وجل، وطلب الخيرة، وليس من هذا المنهي عنه قول مريم رضي الله عنها: ((يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا))[مريم:٢٣]، فإنَّها لم تقل لكمال أدبها رضي الله عنها: اللهم أهلكني اللهم أمتني، كما يفعل بعض من يضيق عطنه وينفد صبره من النساء والرجال، وإنَّما قالت بأدب: ((يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا))[مريم:٢٣]، فتأمل الفرق بين الصيغتين.

ثم تأمل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: {وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة}، إي والله، هذه الخشية هي ثمرة العلم، وهي حقيقة العبودية، ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))[فاطر:٢٨]، ((إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ

قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا))[الإسراء:١٠٧-١٠٩]، فهذا العلم أورثهم الخشية والخشوع، فالعبد يسأل الله تعالى خشية ربه في الغيب والشهادة، لا يتخشع في الشهادة فقط أمام الناس، بل إذا أوصد الأبواب وأرخى الستور قامت خشية الله في قلبه، ((إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ))[الملك:١٢]، هذه هي الخشية الحقيقية، لكن ليس معنى ذلك أنَّها تفارق الإنسان في الشهادة، لا، هي مطلوبة في الحالين.

{وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا}، وهذه عظيمة، ما أعز كلمة الحق في الغضب، فإنَّ الغضب يحمل صاحبه على تنكب الطريق والتفوه بخلاف الحق، ربما تمكن الإنسان من إصابة كلمة الحق في الرضا، حينما يكون في حال السواء، لكن إذا انفعل وخرج عن طوره تفلَّت الكلمات على لسانه، وفاه وصار يهرف بما يعرف وما لا يعرف، إلا من عقل الله لسانه بالتقوى، فلهذا سأل كلمة الحق في الغضب والرضا، وكم من كلمة يقولها صاحبها في حال الغضب فيعض عليها أصابع الندم، كالذي قال: {والله لا يغفر الله لك، فقال الله: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك}، قال أبو هريرة: لقد قال كلمة أوبقت دنياه وأخراه. مع أنَّه قالها غضباً لله، أو يعني قالها في حال غضب، لكنه لم يبصر. والعياذ بالله، وكالصحابي الذي لما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: {من لقي العباس فلا يقتله}، قال: نقتل آباءنا وإخواننا وندع العباس، والله لئن لقيته لألجمنه السيف، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: {يا عمر، أيسرك أن يضرب وجه عم رسول الله بالسيف} أو كلمة نحوها، قال: يا رسول الله، دعني أضرب عنقه، فأبى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فما زالت هذه الكلمة في نفس قائلها حتى ظننت أنَّه لا يكفّرها إلا الشهادة، فقُتل رضي الله عنه شهيداً يوم الحديقة في قتال مسيلمة الكذاب.

وبالجملة على الإنسان أن يعقل لسانه في حال الغضب ما استطاع، فإنَّ الإنسان في حال الغضب يفقد السيطرة، فأقل ما ينبغي أن تصنع في حال الغضب أن تعقل لسانك، لا تتكلم، ولهذا جاء في الحديث: {إذا غضب أحدكم فليسكت}، لأنَّ هذا أقل شيء يمكن أن تفعله، ولن تندم على السكوت، أما إذا أطلقت لسانك فإنَّك لا تدري ما يمكن أن يصدر عنك.

قال: {وأسألك القصد في الفقر والغنى}، إي نعم، القصد هو التوسط، وذلك أنَّ من الناس من يكون في حال الغنى مبذراً، ولا يبالي بما يفعل، ويكون في حال الفقر مقتراً، وقد أثنى الله تعالى على عباده وسماهم عباد الرحمن بقوله: ((وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا))[الفرقان:٦٧]، فلهذا قال: {وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد}، أيُّ نعيم لا ينفد؟ نعيم الجنة، وكل نعيم سوى نعيم الجنة فمآله للنفاد، لا ريب.

{وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع}، قرة العين هذه إنَّما تكون في الجنة، فإنَّ العين لا تقر قراراً حقيقياً، إلا إذا بلغت مرادها، أما القلق فإنَّ عينه زائغة، كالمتلفت يمنة ويسرة لا تستقر عينه في حدقتها.

قال: {وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء}، وهذا من أعلى درجات مواجهة الأقدار المؤلمة وهو الرضا، وذلك أنَّ الناس في مواجهة الأقدار المؤلمة أطباق، فمنهم من يتسخط، ومنهم من يصبر، ومنهم من يرضى، ومنهم من يشكر، فالمتسخط آثم، والصابر سالم، والراضي رابح، وأعلى منه الشاكر، وربما تقلب المؤمن بين الأطباق الثلاث، أعني: الصبر والرضا والشكر، وهذا يقع للمؤمنين، تارة يعقل لسانه وجوارحه، ويكظم ما في نفسه، يتحمل ما يقع عليه، فيكون في حال الصبر، وتارة يستوي عنده الأمران فيكون في حال الرضا، وتارة يبلغ الأمر إلى أن يبصر نعمة الله عليه في هذا البلاء فيبلغ درجة الشكر، فقد يتقلب المؤمن بين هذه الأطباق الثلاث، المهم ألا ينحط إلى الدرجة السفلى وهي السخط بأن يتفوه بدعاء الجاهلية واثبوراه واويلاه، ونحو ذلك، ولا يلطم خداً، ولا يشقُّ جيباً من أفعال الجاهلية، ولا أيضاً يجزع في نفسه جزعاً يحمله على النقمة وعدم الرضا بما قدَّر الله تعالى عليه.

إذاً قال: {وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش}، وأي هذه الدرجات واجب؟ الواجب الصبر، أما الرضا فإنَّه مستحب، على القول الراجح، وقد ذهب ابن عقيل من الحنابلة إلى أنَّ الرضا واجب، ولكن الصحيح أنَّ الرضا مستحب وليس بواجب، وأنَّ الواجب هو الصبر.

قال: {وأسألك برد العيش بعد الموت}، هذا برد العيش بعد الموت هو ما يكون للمؤمنين من برد العيش في قبورهم، وبعد بعثهم، وضده حر العيش – والعياذ بالله – وهو ما يصلاه الكافر في قبره، وبعد بعثه.

{وأسألك لذة النظر إلى وجهك}، وهذا هو الشاهد من إيراد هذا الحديث هذه الجملة الدعائية {أسألك لذة النظر إلى وجهك}، فدلَّ ذلك على إثبات رؤية المؤمن لربه عز وجل، وإنَّما خصَّ الوجه بالذكر لأنَّ الوجه يدلُّ على بقية أو على عموم الذات، ولكن الوجه دوماً أشرف ما يكون في الشيء، لأنَّه مأخوذ من المواجهة، فلهذا قال: {وأسألك لذة النظر إلى وجهك}، وتأملوا في قوله: {لذة} لم يقل: وأسألك النظر إلى وجهك، كأنَّ هذا لازم ولابد أنَّ من نظر إلى وجه الله التذ، ولا ريب أنَّ هذا هو الواقع، {وأسألك لذة النظر إلى وجهك}، وفيها إثبات صفة الوجه لله عز وجل، وهي ثابتة في الكتاب والسنة في نصوص كثيرة.

{وأسألك الشوق إلى لقائك}، وهذه أيضاً من مطالب المؤمنين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: {من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه}، وهذا لا يتعارض مع كراهة المؤمن للموت، فإنَّ المؤمن يكره الموت لكنه لا يكره لقاء ربه، فلا تنافي بين الأمرين، فكل مؤمن يحب لقاء الله، وتختلف درجة هذه المحبة بين مؤمن ومؤمن، فالنبي صلى الله عليه وسلم في حال موته كان يشير بيده ويقول: {الرفيق الأعلى، إلى الرفيق الأعلى}، وبلال كان في موته يقول:

غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه

فهذا يختلف باختلاف درجات الإيمان. وأما الموت فإنَّ كراهته طبيعة إنسانية، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي، قال: {وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته}، {يكره الموت}، فهذا أمر مغروز في الفطر.

قال: {وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مظلة}، أي: ألا يكون الحامل لي على هذا الأمر ضرٌّ أصابني من مرض أو فتنة أو غير ذلك، قال: {ولا فتنة مظلة}.

ثم ختمه بهذه الجملة: {اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين}، وذلك أنَّ الإيمان له زينة، له بهجة، له رونق يظهر في وجوه المؤمنين، يعرفه أصحاب الإيمان، وأصحاب المزاج السوي، والفطر المستقيمة، يميزون بين الوجوه المسفرة في الدنيا، وبين الوجوه المكفهرة التي علتها ظلمة المعصية والكفر والفسوق والعصيان، فيجد الإنسان في وجوه المؤمنين من الإشراق والبهاء والنور ما يعني يدركه بمجرد مرآهم، كما أنَّ وجوه الفسقة والكافرين عليها غبرة وقترة بسبب ما هم غارقون فيه من الكفر والفسوق والعصيان.

قال: {واجعلنا هداة مهتدين}، وصف (هداة) نهدي غيرنا، (مهتدين)، أي: مهتدين لسبيلك، فهم مهتدون بأنفسهم، هادون لغيرهم، فدلَّ ذلك على النفع القاصر، والنفع المتعدي.

فهذا دعاء عظيم وحديث عظيم تضمن إثبات دعاء المؤمنين برؤية ربهم سبحانه وتعالى.